

## دراسة تحليلية حول حقيقة الإيمان برؤية المفكر الإيراني مجتهد شبستري<sup>١</sup>

السيد مرتضى حسيني شاهرودي<sup>٢</sup>، السيد محراب الدين كاظمي

يتطرق الباحثان في هذه المقالة إلى دراسة وتحليل آراء المفكر محمد مجتهد شبستري بخصوص حقيقة الإيمان، حيث اعتبره حالة من سنخ التجارب الدينية ولا ارتباط له بالفكر والاستدلال، بل لا صلة له من الأساس بالعلم والمعرفة بشكل عام، وبالعقيدة بشكل خاص.

الإيمان برأيه يمكن أن يجتمع في باطن الإنسان مع الشك، لكنه لا يجتمع مع اليأس، وعبر اعتماده على منهج بحثي فينومينولوجي تاريخي، ادعى أن إيمان معظم المسلمين مستند إلى تجاربهم الدينية أكثر من استناده إلى معارفهم الدينية؛ لأن إحياء

---

١. المصدر: المقالة بعنوان «بررسی حقیقت «ایمان» از نگاه مجتهد شبستری»، في مجلة «پژوهش نامه كلام» التي تصدر في الجمهورية الإسلامية الإيرانية باللغة الفارسية، السنة الثانية، العدد الثاني، ٢٠١٥م، الصفحات ٥ إلى ٢٠.

ترجمة: د. أسعد مندي الكعبي.

٢. أستاذ في جامعة فردوسي مشهد.

الدين الإسلامي، مرهون بإحياء تجارب المسلمين الدينيّة، وليس إحياء الفكر والمعارف الدينيّة التي هي في الواقع مستوحاة من التجارب الدينيّة نفسها، وتعدّ من أعمق طبقات الدين.

ضمن بيانه حقيقة الإيمان، حاول في بادئ الأمر اعتبار التجارب الدينيّة العامّة للمؤمنين كافّة كمعيار أساسي لمسألة الإيمان، بحيث تعمّ تجربة كلّ من يدّعيه. لكن حين حديثه عن حقيقة التجارب الدينيّة الأصيلة، توسّع في البحث والتحليل ليعمّمها على الكثير من جوانب حياة البشر، لذا عندما نسلط الضوء على نظريّاته ونمعن النظر فيما تتضمّنه، نستنتج منها أنّ كلامه إزاء حقيقة الإيمان مشّت ولا يتّسم بأيّ انسجام ذاتي.

### مقدّمة البحث

أحد المباحث العقائديّة-الكلاميّة-المهمّة في مختلف الأديان الشائعة بين البشر، هو بيان حقيقة الإيمان، ويبدو أنّه أوّل موضوع طرح للبحث والتحليل في علم الكلام الإسلامي.

مفكّرنا وباحثونا المتأثرون بالمفكرين والباحثين المتديّنين المسيحيين من أمثال سورين كير كيغارد، وعالم اللاهوت الغربي المعاصر بول يوهانس تيليش، يعتقدون بأنّ مباحث الإيمان وأساسه الارتكازيّة، قد طرحت في الأوساط العلميّة والأكاديميّة في بلدنا وفق رؤية جديدةً نسبيّاً.

خلال عقد التسعينيّات الميلادي من القرن الماضي إلى أوائل الألفية الثالثة،

شهدت هذه المباحث نقطة تحوّل جذريّة، فخلال هذه الفترة من تاريخنا المعاصر وجد الفكر الغربي منافذ ليتغلغل في باطن أوساطنا العلميّة إلى حدّ ما. وفي هذا السياق، لا نجد سوى باحثين ومفكرين معدودين اعتمدوا في كلامهم وآرائهم على أدلّة معتبرة؛ فالمفكر شبستري على سبيل المثال قال في ندوة علميّة<sup>١</sup>: هدفنا من المواضيع التي طرحناها للبحث والتحليل، هو تذكيركم بأنّ تستعدّوا كما ينبغي لاستقبال ضيف غير مرحّب به.

لو كان صادقاً حقّاً في هذا الكلام، فهو يريد بالفعل أن يساعدنا لأنّ نسلك نهجاً صائباً على الصعيد النظري ضمن بحوثنا العلميّة التي نتطرّق فيها إلى تحليل المواضيع المرتبطة بما ذكر. وعلى هذا الأساس، إذا ما واطبنا على طرح مباحث علميّة من جوانب مختلفة، سوف تتنامى قدرتنا التحليليّة، وتصبح رؤيتنا النقديّة ثابتة؛ لأنّنا كنّا متأهّبين للموضوع مسبقاً.

بناءً على ذلك، سوف نتطرّق في هذه المقالة إلى بيان آراء هذا المفكر بخصوص حقيقة الإيمان وبنيته الأساسيّة؛ لأنّه امتاز عن سائر المفكرين والباحثين من جهة طرحه مباحث الإيمان بأسلوب متميز، إذ فاقهم فيها ذكروا على هذا الصعيد.

شبستري ضمن حديثه عن الإيمان وحقيقته، تبني رؤيةً جديدةً. وعلى ضوء مباحث تاريخيّة فينومينولوجيّة، توصل إلى نتائج جديدة طرحها لمخاطبيه، لكنّ ليس من السهل قبولها. لذا، لا بدّ من تسليط الضوء عليها بأسلوبٍ بحثي كي تتضح مختلف أبعادها بأمثل شكل. وعلى هذا الأساس، قبل أن نتطرّق في هذه

١. أقيمت هذه الندوة في مكتب الإعلام الإسلامي بمدينة مشهد المقدّسة.

المقالة إلى بيان محور الموضوع، سوف نوضّح أولاً مفهوم الإيمان من الناحيتين اللغويّة والدلاليّة.

## بحث دلالي

### أولاً: الإيمان لغتاً

كلمة «إيمان» مصدر من «أمن يأمن أمناً»، ومعناها التصديق<sup>١</sup>. وعلى هذا الأساس، فسّرت كلمة «مؤمن» في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (يوسف: ١٧) بالمصدّق<sup>٢</sup>. واستناداً إلى هذا المعنى أيضاً، نقل ابن منظور عن كلّ من ابن عباس وابن جبير أنّ الفرائض الدينيّة هي المقصودة من الأمانة الإلهيّة الملقاة على كاهل البشر<sup>٣</sup>.

### ثانياً: الإيمان اصطلاحاً

كلمة «إيمان» استخدمت في تراثنا الديني ضمن معاني متنوّعة. والخوارج هم أوّل من تطرّقوا إلى مسألة إيمان المسلم في تاريخ العقائد الإسلاميّة، وفي هذا السياق اعتبروا مرتكب الكبائر كافراً<sup>٤</sup>. وأمّا المعتزلة، فقد طرحت هذه الكلمة كاصطلاح في تراثهم الفكري ضمن القصّة الآتية:

---

١. ابن منظور، لسان العرب، ١٦٣-١٦٥.

٢. الفراهيدي، العين، ١: ١٠٨.

٣. م. ن.

٤. فخر الدين الرازي، المحصّل، ٥٧.

ذات يوم دخل رجل على الحسن البصري، وقال له: الخوارج يعتبرون مرتكب الكبائر كافراً، والبعض يؤخرون الحكم عليه ويعرفون بـ «المرجئة».

لما سمع الحسن البصري هذا الكلام، تأمل في نفسه وقبل أن يجيب السائل، بادر واصل بن عطاء قائلاً: أنا أقول إن مرتكب الكبائر ليس كافراً وليس مؤمناً، بل هو بين الكفر والإيمان<sup>١</sup>.

إذًا، العمل استنادًا إلى رأي المعتزلة، لا ينضوي ضمن حقيقة الإيمان. وأمّا الأشاعرة، فقد عرّفوه بأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان، لكن العمل ليس من أركانه<sup>٢</sup>. إلا أنه برأي علماء الكلام الشيعة ذو معنى مختلف عمّا ذكر، وغالبية علماء الشيعة تبنّوا رأي ابن بابويه في هذا المضمار، حيث عرّفه قائلاً: الإيمان عبارة عن تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان<sup>٣</sup>.

## وصف الإيمان

شبستري اعتبر لبّ الإيمان وجوهه الحقيقي الانجذاب إلى مخاطب مركزي والانعطاف نحوه والميل الفكري إليه، بحيث يسفر خطابه عن ارتباط المخاطب به بالتمام والكمال، لذا فالإيمان يعني الاهتمام الناشئ من انجذاب<sup>٤</sup>.

ويعتقد بأننا لو أردنا تعريفه في منأى عمّا ذكر في آثار سائر المفكرين، ينبغي

١. الشهرستاني، الملل والنحل، ٢: ٥٢.

٢. م. ن.

٣. الصدوق، الأمالي، ٤٦٠.

٤. للاطلاع أكثر، راجع: مجتهد شبستري، تأملاتي در قرائت انساني از دين، ١٠٣.

لنا مراجعة الأحداث التي شهدها المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام وتجسيمها كي نطلع على قصّة الإيمان الجذّابة؛ لأنّ التراث الفكري للباحثين والمفكرين، متقوم على فرضيات معيّنة تجعلنا في منأى عن معنى الإيمان الحقيقي.

هذه الرؤية في الواقع حصيلّة لأصول نظريّة مهمّة لا يسعنا المجال بيانها هنا، ولا بدّ من ذكرها في محلّها. لكنّ خلاصة الكلام، هي أنّ مجتهد شبستري يعتقد بضرورة اللجوء إلى مصدرين أساسيين بغية معرفة حقيقة الإيمان، وهما كما يلي:

١. الكتاب والسنة من جهة، وآراء علماء الكلام والعرفاء والفلاسفة المسلمين من جهة أخرى.

٢. التجارب الدينيّة التي خاضها المسلمون، والتي أوجدت خلفيّة تاريخيّة<sup>١</sup>. نستشفّ من التعريف المذكور، أنّ هذا المفكر يرجّح المصدر الثاني أكثر من الأوّل. والواقع أنّ هذا المصدر أكثر انسجامًا مع رؤيته بخصوص التجارب الدينيّة التي تعتبر من جملة الأصول التي ترتبط بالإيمان من وجهة نظره؛ وذلك من منطلق اعتقاده بأنّ الإيمان في الوهلة الأولى لا يحكي عن تصديق وعقيدة متعلّقة بمفهوم معيّن. وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يكثرث بالجانب المعرفي والنبويّ للإيمان، بل أكّد في مباحثه بشكل أساسي على مسألة إقبال الإنسان واهتمامه، حيث قال: لذا أعار علماء الكلام أهميةً للجانب المعرفي، وعرفوا الإيمان بأنّه «تصديق بما جاء به النبيّ ﷺ». إلّا أنّ العرفاء سلّطوا الضوء بشكل أساسي على التجارب في سيرة المسلمين<sup>٢</sup>.

١. م. ن، ١٠٠.

٢. م. ن، ١٠٤.

## حقيقة الإيمان برؤية مجتهد شبستري

قبل أن نتطرق إلى بيان تفاصيل البحث، نرى من الأنسب أولاً ذكر بعض الملاحظات المقتضية حول تاريخ التجارب الدينية؛ لكونها ذات ارتباط وطيد بالموضوع.

لا شك في أن التجربة الدينية قد واكبت الدين منذ باكورة ظهور التدين بين البشر. لكن الاعتماد عليها كأسلوب مستقل في تحليل الحقائق الدينية، شاع تزامناً مع الضربات الموجعة التي تلقاها الدين من نظريات أمثال إيمانويل كانط وسائر فلاسفة العلم. وعلى هذا الأساس، حاول عالم اللاهوت المسيحي الشهير فريدريك شلايرماخر توسيع نطاق الدين؛ ليعمّ الأمور غير المرتبطة بالأخلاق أيضاً. فهو أول من اعتمد على التجارب الدينية بغية تحقيق هذا الهدف. وفي هذا السياق، أكد على أن التدين ليس علماً ولا أخلاقاً، بل عبارة عن عنصر في التجارب البشرية. ومن هذا المنطلق، سلط الضوء على الجوانب الشعورية والعاطفية في الدين، ثم حدا حذوه كل من رودولف أوتو ووليام جيمس.

بعد أن أشرنا إلى الخلفية التاريخية للموضوع، تجدر الإشارة أيضاً إلى هذه الملاحظة المهمة، وهي أن المفكر شبستري، حينما تحدّث عن حقيقة الإيمان وحاول تعريفه، أكد على تجارب المسلمين الدينية أكثر من تأكيده على أي أمر آخر. وفي هذا المضمار، اعتبر تجربة كل متدين بأنها لبّ الإيمان والمرتكز الأساسي له، ثم استنتج من ذلك أن تشخيص حقيقة إيمان كل مسلم منوطة بمعرفة واقع تجارب المسلمين الدينية على مرّ التاريخ.

وأما بالنسبة إلى ما يعانيه المسلمون من ضعف وتحلّف وانحطاط، فقد اعتبر التجارب الدينيّة هي السبيل الوحيد للخلاص من هذه المعضلة، إذ يجب إحياء هذه التجارب كي يستعيدون قوتهم ومجدهم.

كذلك يعتقد بأن بيان حقيقة الإيمان مرهون بدراسة وتحليل عناصره البنيويّة، لذا لا بدّ من تقييمه وبيان تفاصيله بدقّة على ضوء ارتباطه بهذه العناصر؛ كي تنشأ لدينا معرفة بحقيقته ونتمكّن من تقييمه وفهمه بشكل صائب. لذا، سوف نتطرّق في هذا البحث إلى بيان حقيقة الإيمان برأيه من عدّة جوانب، ثمّ نقيّم آراءه في هذا السياق.

### الإيمان والتجارب الدينيّة

التجربة التي تعتبر الركن الأهمّ أو العنصر الوحيد للإيمان، حسب رؤية المفكرين المحدثين المختصّين بدراسة الدين، ذات دور أساسي في فكرهم. والمفكر شبستري أكّد عليها أكثر من أيّ مفكر آخر، واعتبرها بنيةً أساسيةً في حياة المتديّنين.

بما أنّ الارتباط بين الإيمان والوحي متبادل، فقد عرّف دعاة نظريّة التجربة الدينيّة الوحي بأنّه أوّل تجربة دينيّة مصدرها تجارب الأنبياء، إذ انبثقت من نبوتهم، وباتت زاخرةً بما فيها بفضل هذه التجارب، ثمّ تغلّغت في أعماق نفوس المؤمنين لتعمّ وجودهم برمته وتثريه بما فيها بشكل تدريجيّ.

المسألة المهمّة في هذا الصعيد، هي أنّ التأكيد على تأثير التجارب الدينيّة واعتبارها مرتكزاً أساسياً للإيمان، يسفر عن عدم الالتزام بالقيود والمقرّرات العقائديّة الدينيّة، ومن ثمّ يصبح الإيمان دائماً في مقابل المعتقدات الدينيّة بحيث يتجاوز أصولها

الارتكازية؛ لأنّ مضمونه في هذه الحالة ليس سلسلة من هذه العقائد حسب ما هو ثابت في الأديان.

مجتهد شبستري على ضوء اعتقاده بمسألة بسط التجربة الدينية والتجربة النبوية، والتي يعرف الإيمان على أساسها كهوية لأمر خارج عن القانون؛ بالغ في هذا الأمر لدرجة أنّه اعتبر المعتقدات الدينية رواسب راکدة في قعر الإيمان ومضامين جامدة في باطنه. لذا، فهو برأيه ليس أمراً فاعلاً ومؤثراً على الدوام، ومن ثمّ لا يمكن أن يضيفي إلى روح المؤمن طلاوةً وحيويةً باستمرار. كلامه في هذا السياق جدّاب بعض الشيء ويمنح المخاطب طمأنينةً بما يطرح فيه من الناحيتين النفسية والعاطفية، بحيث يستهويه نحوه ويستحوذ على فكره. لكن، لو أردنا فهم جزئياته وتفصيله الحقيقية ومعرفة النتائج التي تترتب عليه، لا بدّ لنا من إمعان النظر فيه والتدقيق بمضمونه وفق رؤية موحّدة بين الباحثين كافة، كي يطرح كلامه للقراء الكرام على حقيقته ويدركوا مغزاه الواقعي.

ولأجل أن لا يقع في فخّ إشكاليات الرؤية النسبية المتقوّمة على فكرة التعددية الدينية، تنزّل بماهية الأديان إلى محض تجارب دينية. وقد بالغ في هذا السياق لدرجة أنّه اعتبر الوحي أيضاً من جملتها؛ أي ادّعى أنّه تجربة دينية في حياة الأنبياء. وأمّا المنهج البحثي الذي اعتمد عليه في شرح وتحليل التجارب الدينية والنبوية، فهو من نمطية البحوث الفينومينولوجية.

بناءً على رؤيته المشار إليها أعلاه، فقد أكّد على أنّنا لو حللنا واقع الدين وفق رؤية فينومينولوجية، سوف ندرك أن التجارب الدينية تمنحنا أنموذجاً جديداً على

صعيد تعامل الأديان فيما بينها وتضاربها مع بعضها، وقد وضح قصة الإيمان في الإسلام كما يلي:

«ياترى ما التغيير الذي حدث عندما ذكر النبي محمد الآيات القرآنية لقومه بشكل شفهي؟ نحن لا نعلم حقيقة ذلك التغيير؛ لأن النص القرآني شاع بين المسلمين بعد وفاته بشكل مكتوب»<sup>١</sup>.

وقد تبني في أحد آثاره تفسيراً تجريبياً بحثاً بالنسبة إلى مسيرة الإيمان في التاريخ الإسلامي، وكيف انتقل من التجربة النبوية إلى سائر المسلمين. وضمن تأليف آخر، سلط الضوء على الإيمان والتجارب الدينية التي اعتبرها في غاية الوضوح، وهنا ذكر تفسيراً آخر بخصوص الارتباط الوطيد بينهما قائلاً:

«الإيمان في الإسلام من الأحداث التي وقعت في ذلك الزمان، حيث جرى بين الناس كما يجري الماء الزلال المتدفق من ينبوع بشكل مفاجئ»<sup>٢</sup>.

التجارب الدينية هي البنية الأساسية للإيمان برأيه، وليس العقائد؛ إذ اعتبر العقائد بأنها من تراكمات التجارب الدينية؛ أي إن هذه التجارب تتراكم مع مرور الوقت لتخلق عقائد، فعندما يتحدث الناس عن هذه التجارب، ي طرحونها ضمن مفاهيم وأطر خاصة. وعلى هذا الأساس، تنشأ المعتقدات الدينية؛ وهذا يعني أن الإيمان برأيه ليس عقيدة، لذا لم تذكر هذه الكلمة ولا مشتقاتها في النص القرآني؛ أي

---

١. م. ن، ١٠١.

٢. مجتهد شبستري، هرمنوتيك كتاب وسنت، ٣٥.

إننا لا نجد فيه كلمة عقيدة أو اعتقاد خلافاً لكلمة إيمان ومشتقاتها التي ذكرت كثيراً فيه. فضلاً عن ذلك، اعتبر الشريعة أيضاً من التدايعيات المترسبة على التجارب الدينية، وضمن بيانه طبيعة التجارب الدينية قال ما يلي:

«الأديان الثلاثة الكبرى في العالم ظهرت في نطاق ثلاثة مستويات كما يلي:

١. أعمال وشعائر: نحن على ارتباط مباشر وتام مع هذا المستوى، وهو أول المستويات التي نلمسها في الأديان الثلاثة. فالإسلام على سبيل المثال يتضمّن أعمالاً دينية، مثل الصلاة، والصيام، وذبح الأضاحي، والإنفاق، والمشاركة في النشاطات السياسية والاجتماعية بدوافع وغايات دينية.

٢. عقائد: في كل دين من الأديان المذكورة توجد مجموعة من العقائد، مثل التوحيد والنبوة والآخرة إلى جانب معتقدات خاصة إزاء حقيقة الإنسان وغير ذلك؛ وفي هذا المستوى يتمحور الأمر حول المعرفة.

٣. تجارب دينية: هذه التجارب تعتبر ثالث وآخر مستوى في الأديان المذكورة.

لو رسمنا هذه المستويات الثلاثة على شكل تحيط ببعضها، فالدائرة الثالثة التي هي المستوى الثالث - التجارب الدينية - واقعة في باطن الدائرتين الأولى والثانية؛ أي المستويين الأول والثاني، حيث يحيطان بها من كل جانب»<sup>١</sup>.

وبعد أن ذكر تفاصيل أخرى في هذا السياق، واصل كلامه ليذكر إيضاحات بخصوص واقع التجارب الدينية في رحاب معطيات أدلة دينية وغير دينية،

١. للاطلاع أكثر، راجع: م. ن، ١١٨.

ثمّ استنتج من التفاصيل التي أشار إليها، أنّ هذه التجارب هي أساس التدين وجوهرة، فقد قال:

«إذا أقرنا بأنّ التجارب الدينيّة هي أساس التدين، سواء استند إقرارنا هذا إلى رؤية متقوّمة على أدلّة غير دينيّة أو على أدلّة دينيّة، ففي هذه الحالة كيف يمكن تفسير مسألة إحياء الدين؟ من المؤكّد أنّ إحياء الدين مرهون قبل كلّ شيء بإحياء هذه التجارب»<sup>١</sup>.

وقد أكّد غاية التأكيد على رؤيته هذه لدرجة أنّه اعتبر معرفة مضمونها يجسّد روح علم الكلام الجديد في العالم الإسلامي. ومن هذا المنطلق، قال لو تقرر أنّ يولد علم كلام جديد في العالم الإسلامي، فلا بدّ حينئذٍ من اتّخاذ التجارب الدينيّة كمعيار أساسي فيه.

وحيثما نسلط الضوء على آرائه الإبتيمولوجيّة، نستشفّ منها معارضته الشديدة لإبتيمولوجيا أرسطو، فقد اعتبر منهجيّته الفكريّة تنتهي إلى عقيدة دوغمائيّة، ومن ثمّ لا يحيص من اعتبار كلّ قضية تطرح للبحث والتحليل بدهيّة لا مجال لتفنيدها مطلقاً، بزعم أنّها تنطبق بالكامل مع الواقع؛ في حين أنّ التجارب البشرية تحكي عن شيء آخر غير هذه الرويّة الدوغمائيّة. ومما ذكره في هذا الصعيد ما يلي:

«لماذا تذكرون أشياء نيابةً عن النبيّ؟ ما الذي يدعوكم لأنّ تذكروا كلّ شيء بشكل إملائيّ وتدعون أنّه مطابق للواقع وتنسبونه إلى النبيّ؟ اسمحوا لنا أن نتعلّم

من تجارب النبيّ والمسلمين الأوائل، فلو أمعنا النظر في أفعالهم وأقوالهم على أساس رؤية فينومينولوجيّة، سوف نستكشف الكثير من القصص الجديدة الجذّابة<sup>١</sup>. إحياء الدين من وجهة نظر هذا المفكر، مرهون بإحياء التجارب الدينيّة؛ إذ يرى أنّنا لو نظرنا إلى واقع الحال برؤية لا تستند إلى أدلّة دينيّة، سنلاحظ وجود مجموعة من التجارب الدينيّة التي شهدت شدّاً وجذباً على مرّ التاريخ، ممّا يعني أنّ التجارب الدينيّة بشكل عامّ على غرار نهر تتدفّق مياحه من ينبوع عذب زلال، وهذا ينبوع هو تجارب النبيّ، ويعتبر أساساً لكلّ تجربة عرفانيّة وتجربة دينيّة يخوضها عامّة الناس. وضمن طرحه دور التجارب الدينيّة في بيان حقيقة الدين على أساس وظائفي، لم يقصد تجاهل دور معرفتنا بديننا وكيفيّة إصلاحه، بل قصد من ذلك التأكيد على الأهميّة القصوى لهذه التجارب؛ إذ اعتبر كلّ تعديل وإصلاح نقوم به من الناحيتين الإبيستيمولوجية والإيديولوجية مرهوناً بهذه الجهود وامتداداً لها، كذلك أيد الدور الفاعل للعلم قبل حدوث كلّ تجربة دينيّة.

### العلاقة بين الإيمان والتجربة الدينيّة

يجب أن نأخذ الملاحظات التالية بعين الاعتبار عند تحليل واقع العلاقة بين الإيمان والتجربة الدينيّة وفق نظريّة شبستري:

١. الإيمان حسب نظريّته التي طرحها على صعيد التجارب الدينيّة وطبيعة ارتباطها به، لا يمكن تشخيصه؛ أي إنّنا غير قادرين على تقييم إيمان الآخرين؛ لأنّ

إيمان كل إنسان عبارة عن تجربة فردية خاصة لا تشابه غيرها. وعلى هذا الأساس، استنتج عدم وجود أي معيار لتقييم إيمان البشر، ومن ثم ليس بمقدورنا أن نتكلم عليه ونذكر تفاصيله، لذا يجب التزام جانب الصمت إزاءه.

٢. هذه النظرية متقومة على نظرية الفيلسوف الغربي شلاير ماخر، وهو الذي وضع حجر الأساس لمسألة التجربة الدينية وفقاً لقابليات الديانة المسيحية وقدرتها على الصمود أمام نقد إيمانويل كانط، الذي تنزل بشأن الدين إلى مجرد إدراكات العقل العملي. ومن جهة أخرى، فإن ضعف هذه الديانة والنواقص الكثيرة الموجودة فيها وعدم قدرتها على مواكبة التغييرات التي طرأت في العالم خلال العصر الحديث وعجزها عن تنسيق نفسها مع التجدد الفكري المعاصر، كلها أمور ساعدت على ظهور هذه النظرية. لكن، عندما نقارن هذه الظاهرة التي طغت على المسيحية مع واقع الدين الإسلامي الذي نشأ في رحاب مبادئ عقائدية شيعية وتضمن الكثير من التعاليم والأسس العقائدية على صعيد العقليين النظري والعملي مثل الأخلاق والفقه، فهل يمكن اعتبار رؤيته ناقصة كما في المسيحية؟

٣. أحد الدوافع الأساسية للولوج في التجارب الدينية، هو إظهار الجانب النفسي والعاطفي من الدين، وهذا الأمر أيضاً يضرب بجذوره في الديانة المسيحية، في حين أن الإسلام يتضمن جوانب مختلفة تفوق الجانب النفسي والعاطفي، وكل جانب له خصائصه التي تميزه عن غيره. وعلى هذا الأساس، فالدين ذو جوانب عديدة، أحدها نفسي وعاطفي، لذا ليس من الصواب قصر الدين على هذا الجانب فقط ثم تسرية حكم الجزء على الكل؛ أي إن هذا التعميم من سنخ مغالطة الكل والجزء.

## الإيمان والعلم

شبستري تبنى رأياً خاصاً إزاء الإيمان؛ إذ اعتبر بنيته الأساسية غير معرفية. وضمن دراساته وبحوثه التي دونها في هذا المضمار، أكد على وجود أدلة دينية وغير دينية تفيد بأن العقيدة ليست ثمرة للإيمان؛ لأنه أمر وجودي لا يتحقق إلا في رحاب التجربة الدينية. وبعد أن ذكر أدلة غير دينية استنتج ما يلي:

«حتى الأدلة الدينية والقرآنية إذا أمعنا النظر فيها، ل نجد سوى تجارب دينية. فالدين في القرآن لم يذكر على هيئة مفاهيم جاء بها النبي يجب على الآخرين الإيمان بها»<sup>١</sup>.  
هذه الرؤية يطرح عليها السؤال الآتي: كيف يمكن للإنسان أن يقوم بهذه الحركة المثمرة ويتخذ مواقف حازمة على أساسها، من دون أن يمتلك معرفة بتفاصيلها؟  
شبستري أجاب عن هذا السؤال بنحو ما، فقد قال: ذروة الدين هي اعتبار كل شيء علامة على وجود الله.

مفهوم هذا الكلام هو المبدأ الوحيد الذي يجب إيمان المتدين به قبل كل شيء آخر ضمن مسيرته الدينية. وهو بطبيعة الحال يتقوم على مرتكز إبستمولوجي؛ أي لا بد من امتلاك معرفة للإقرار به، وهذا الموضوع وضح مجتهد شبستري في موضع آخر قائلاً:

«التجارب الدينية تختلف عن التجارب المتعارفة بين البشر؛ لأن ظروف حدوث التجارب الأخرى يهيؤونها بأنفسهم. لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى التجارب

الدينيّة؛ لكونهم خاضعين لموضوعها وليس العكس، حيث يسوقهم نحوه أينما يشاء، ولا يحيص لهم من الثقة به دون علم حتى لو سلكهم في طريق ضبابي<sup>١</sup>.  
لأجل أن نحلل رؤيته بدقّة وعمق أكثر، نرى من الأنسب تسليط الضوء على أحد آثاره الأخرى. فقد تطرّق في كتاب آخر من مؤلفاته، إلى بيان الرأي الشهير بين علماء اللاهوت والمتديّنين، ألا وهو «القراءة غير الإنسانيّة للدين»، إذ قال بهذا الخصوص:

«الدين في رحاب القراءة غير الإنسانيّة له، عبارة عن مجموعة من العلوم والأحكام الغيبيّة الخارجة عن نطاق العقل البشري لكونها صادرة من الله تعالى، لذا فهي حاكمة على البشر.

الذات الإنسانيّة وفق هذا الرأي تتلاشى ولا يبقى أي أثر لها<sup>٢</sup>.  
ومن الآراء الأخرى التي تبناها، هو أنّ ثقافتنا الدينيّة كمسلمين كانت شفهيّة؛ إذ لا أحد يعلم ما الذي حدث بين النبي ﷺ وذلك الشخص الذي خاطبه. فهي استقرّت بعده وتحوّلت إلى تراث مدوّن. وقصّة الإيمان بدورها تغيّرت وفق هذه التغييرات الجذريّة. ومن أقواله في هذا السياق ما يلي:

«... لأنّ هاجس هؤلاء هو الاستماع لخطاب موجه إليهم وخبر يأتيهم ثمّ اتّباع، كانت حركتهم هادفة إلى إثبات وجود، ولم تكن استدلالية فلسفيّة؛ إذ لم يرغبوا في ذكر برهان لإثبات وجود الله، بل سمعوا خبراً واتبعوه.

١. مجتهد شبستري، تاملاتي در قرائت انساني از دين، ١١٢.

لطالما تأثرت بهذه الآية: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا... فَاسْتَجَبْنَا لَهُ...﴾ (آل عمران: ١٩٣)¹.

صريح هذا الكلام يدل على أنّ عملية الاستدلال تختلف عن الإيمان؛ لأنّه مستقلّ عن الأمور العلميّة والمعارف المبرهنة. وعلى هذا الأساس، اعتقد بقدره المؤمن بأن يتجاوز أحد المفاهيم ويتّجه نحو مفهوم آخر وفق المعطيات الموجودة بين يديه. إلّا أنّ هذه المفاهيم برمّتها غير ثابتة بشكل توقيفي، ولا شأن لها بالبنية الأساسيّة للإيمان.

### حقيقة الإيمان

أولاً: لا شكّ ولا تردد في صواب الرأي القائل بأنّ حقيقة الإيمان ماهيته، عبارة عن حركة عموديّة للأبعاد الوجوديّة في الإنسان، حسب تعبير الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري. لكنّ الخطأ يكمن في فصله عن العلم بالكامل ونسبته إلى أعماق طبقة في الوجود الإنساني. فهذا الأمر يقلّل من شأنه في نشاطات الإنسان الدنيويّة وجهوده العلميّة؛ لأنّ الإيمان دون تعقل وتفكّر لا قيمة له. لذا، بما أنّ العقل بصفته حجّة الإنسان الباطنيّة، فهو قادر على فهم الوحي، بل لولاه يصبح الوحي مدار شكّ وترديد.

إذاً، الإيمان من منطلق ارتكازه على الإقرار بحقيقة الوحي، لا بدّ وأن يتقوّم على العقل، لذلك قال الأستاذ عبد الله الجوادى الأملي:

«الوحي باعتقادنا من سنخ العلم والإدراك وليس من سنخ التحريك والعمل. إلا أنه يعتمد على الفكر حين العمل، بينما العلم والإدراك من سنخ الوجود ويتواكب مع الوحي؛ وعلى هذا الأساس لعقل الإنسان قدرة على فهمه»<sup>١</sup>.

بناءً على ما ذكر، فالوحي الذي يعتبر من توابع الإيمان تابع للمعرفة أيضًا، ولربما المعرفة الحسولية غير كافية في هذا المضمار. إلا أن المعرفة الحضورية- الشهودية- كافية في أن تعمه. وهنا مسألة مهمة تجدر الإشارة إليها بخصوص العلم، وهي أن العلم الحضورى حسب المبادئ الإستمولوجية الغربية يعد أمرًا مجهولًا.

ثانيًا: إحدى العبارات الشائعة التي عادة ما تطرح ضمن البحوث التي تدون بخصوص مسألة التجربة الدينية وما يرتبط بها، هي: «ليست هناك أية معلومة إلا وتم تفسيرها»<sup>٢</sup>. طبقًا لهذا الكلام، ليس بمقدور كل من هبّ ودبّ خوض تجربة عملية دون أن يمتلك بنية معرفية. وعلى هذا الأساس، قال أحد منتقدي مجتهد شبستري ما يلي:

«على افتراض أن التجارب الدينية عبارة عن أمر مستقل، إذا أريد من استقلالها أنها متقومة على استدلالات فلسفية، فهذا الأمر ممكن، لكن إذا أريد منه معتقدات ومفاهيم دينية، فهذا الأمر غير ممكن مطلقًا؛ لأن هذه التجارب من أساسها تولد من رحم معتقدات ومفاهيم دينية»<sup>٣</sup>.

١. الجوادى الآملى، تفسير موضوعى، ٣: ٥٣.

٢. بيترسون وآخرون، عقل واعتقاد دينى، ٥١.

٣. قائمى نيا، تجرّبه دينى وگوهر دين، ١٦٨.

دراسة تحليلية حول حقيقة الإيمان برؤية المفكر الإيراني مجتهد شبستري ❖ ٢٣٧

الجدير بالذكر هنا، أنّ شبستري في مواضع عديدة من مدوّناته، جعل الإيمان في أعمق طبقة من طبقات الوجود الإنساني، معتبراً إياه عقيدةً قلبيةً وتصديقاً باطنياً، فالمعتقدات برأيه عبارة عن رواسب خلّفها التجارب الدينية. هذه الرؤية عرضة للنقد قطعاً، لذا يجب على هذا المفكر أن ينقض ما يرد عليها من نقد.

### عناصر الإيمان

شبستري تطرّق في كتاباته إلى بيان عناصر الإيمان، وقد صنّفها ضمن قسمين كما يلي:

- عناصر سلبية.

- عناصر إيجابية.

ويمكن بيان آرائه في هذا المضمار بشكل مقتضب كالآتي:

١. الإيمان ليس عقيدةً بوجود إله للكون، وليس يقيناً ولا علماً ولا فلسفةً.

٢. الجوانب الإيجابية للإيمان هي الثقة والمحبة والشعور بالأمن والأمل<sup>١</sup>.

وحاول إثبات أنّ الإيمان أمر مستقلّ عن العقيدة؛ أي إنّها مقولتان منفصلتان عن بعضهما، قائلاً:

«العقيدة عبارة عن أمر ذهني فكري، وقد تكون إحدى التجارب الأصلية منشأ له، أو ربّما ينشأ من تلقين إنسان وتبليغه، أو ينشأ بفعل عوامل أخرى»<sup>٢</sup>.

---

١. للاطلاع أكثر، راجع: مجتهد شبستري، هرمنوتيك كتاب وسنت، ٣٧.

٢. م. ن، ١٢٣.

نستشف من هذا الكلام، أنّ العقيدة قد تكون غير أصيلة. لكن، كيف نقيم التجربة الدينية في هذه الحالة؟ هذا المفكر حينما طرح الموضوع بالأسلوب المذكور، رام من وراء ذلك إثبات أنّ العقيدة تنشأ في ذهن الإنسان وفكره، بينما التجربة ليست كذلك، ولا ارتباط لها بالفكر؛ لأنّها تعمّ وجوده بأسره وتتفاعل معها جميع أعضائه ومكوّنات شخصيته. وهذا هو أهمّ اختلاف بينها وبين العقيدة.

ولأجل أن تتضح لنا حقيقة الإيمان بشكل أفضل حسب نظريته، نذكر ما قاله في موضع آخر: «الأديان الكبرى في العالم ظهرت ضمن ثلاثة مستويات كما يلي:

١. أعمال وشعائر سطحية ذات ارتباط مباشر بنا، فالإسلام على سبيل المثال يتضمن أعمالاً عبادية، مثل الصلاة والصيام وغيرها.

٢. أفكار وعقائد مثل التوحيد والنبوة وعلم الكونيات والأنثروبولوجيا وغير ذلك.

٣. تجارب دينية، حيث تعتبر آخر مستوى داخلي للدين، وهي النواة المركزية له»<sup>١</sup>.

استناداً إلى ذلك، فالتجارب الدينية برأيه تعتبر أهمّ عنصر بناء للإيمان، وأعمق طبقة فيه.

## حقيقة التجربة الدينية

لو أردنا شرح وتحليل حقيقة التجربة الدينية، يجب أن نأخذ النقاط الآتية بعين الاعتبار:

١. اللجوء إلى نظرية التجربة الدينية، هدفه وضع حلول للإشكاليات التي ترد على الثقافة المسيحية ومعتقداتها، مثل التثليث والتجسيم والفداء والألوهية. وغالبية النقد المطروح على الديانة المسيحية ضمن الدراسات والبحوث التي تدوّن على صعيد مسألة التعارض بين العلم والدين، يرد في الواقع على التعاليم والمعتقدات الدينية التي تتعارض مع حكم العقل. وهذا الموضوع طرح للبحث والتحليل من قبل الفيلسوف شلايرماخر، لذا ليس من الضروري اعتبار التجارب الدينية بأنها مغزى الإيمان في الإسلام.

٢. المسألة الأخرى الجديرة بالذكر على صعيد التجارب الدينية في العالم الإسلامي، هي أنّ هذه التجارب تصنّف إلى نوعين، فمنها تجارب سلبية، ومنها تجارب إيجابية؛ لأنّ هذا المسلك الضيق يسلكه الكثير من أصحاب المزاعم الكاذبة. لذلك صنّفوا عالم الوهم والخيال إلى نوعين أيضًا، أحدهما عالم متّصل، والآخر عالم منفصل. ومن المؤكّد أنّ التمييز بينها لا يتسنى لأيّ شخصٍ كان. واللافت للنظر في هذا المضمار، أنّ اعتبار التجربة كحدّ فاصل بين الحقّ والباطل، مرتبط بهذين العالمين<sup>١</sup>.

١. الجوادى الآملي، تفسير موضوعي، ٣: ٥٥.

٣. إذا أردنا تقييم التجارب الدينية والحكم على كل واحدة منها، فنحن بحاجة إلى مفهوم فكري مشترك. لكن هذا الأمر غير ممكن؛ لأن كل تجربة دينية تعتبر شأنًا فرديًا مختصًا بشخص معين، ولا يمكن أن تسري بذاتها إلى غيره.

شبستري لم يضع معيارًا محددًا يمكن الاعتماد عليه في الحكم على التجارب الدينية وتقييمها بغية التمييز بين ما كان سلبيًا وإيجابيًا منها، ولربما لا يرتضي بهذا التصنيف من الأساس. ومن المباحث التي ذكرها في هذا المضمار، ما وصفه بالتجارب الأصيلة، لكنه لم يضع لها معيارًا محددًا.

لو أذعننا إلى رأي من اعتبر التجارب العرفانية والدينية من سنخ التجارب الحسية، من الممكن حينها القول بأن هذه التجارب هي التي تبرر المعتقدات الدينية؛ لأن المتدينين بإمكانهم استنتاج عقيدة «الله تعالى هكذا» من مفهوم «جربت الله تعالى بهذا الشكل»؛ أي إنهم يبررون عقيدتهم بالذات الإلهية على أساس نوع تجربتهم إزاءها. لكن، إذا اعتبرنا التجارب العرفانية والدينية مجرد حالات بيانية، عندئذ لا يمكن ادعاء قدرتها على تبرير المعتقدات الدينية؛ لأن الانتقال إلى سبب كل تجربة يتبلور على أساس تفسير مسبق لمضمونها<sup>١</sup>.

### إحياء الدين مرهون بإحياء التجارب الدينية

إحياء المعتقدات الدينية من جملة المسائل المهمة المطروحة في العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة خلال قرن ونصف. فبعض الباحثين والمفكرين المسلمين، لما وجدوا

١. مجموعة من الباحثين، باورها ديني، ١٤٨.

أنفسهم في مواجهة عالم جديد، حاولوا الحفاظ على نزاهة الدين وخلوصه من الشوائب التي قد تدنّسه، ومن هذا المنطلق سلكوا سبلاً جديدةً وطرحوا آراء غير مسبوقه في العالم الإسلامي.

وفي هذا المضمار، أصدر السيّد جمال الدين فتوى أكد فيها على ضرورة إصلاح السلوك الديني وفق نهج المسلمين الأوائل، ويمكن اعتبار فتواه بأنها أوّل نظريّة تطرح بخصوص تحولات العصر الحديث ومسألة الإصلاح الديني. والنظريّة الأخرى طرحها محمّد عبده، حيث تبنّى فيها فكرة إصلاح المعرفة الدينيّة. وأمّا آخر نظريّة في هذا المجال، فقد طرحت بالتأكيد على ضرورة الإصلاح وإحياء التجارب الدينيّة من قبل المفكر شبستري.

شبستري اعتبر التجارب الدينيّة كالنهر العظيم الذي ينبع من تجارب النبيّ محمّد ﷺ، ويجري على امتداد تجارب الأولياء والعرفاء ويليهم المؤمنون؛ إذ تراكم مع مرور الوقت، وإثر هذا التراكم تنشأ عقائد، وهذه العقائد بدورها تكون شريعةً. ومما قاله في أحد مؤلّفاته:

«لو أذعنّا إلى الرأي القائل بأنّ التجارب الدينيّة هي البنية الأساسيّة للتدين، سواء اعتمدنا في ذلك على رؤية قوامها أدلّة دينيّة أو رؤية قوامها أدلّة غير دينيّة، ففي هذه الحالة يجب الإقرار بأنّ إحياء الدين منوط بإحياء هذه التجارب أكثر من أيّ شيء آخر»<sup>١</sup>.

وبعد أن ذكر تفاصيل هذا الموضوع قال: بعض العرفاء وعلماء اللاهوت قالوا

١. مجتهد شبستري، هرمنوتيك كتاب وسنت، ١٢٠.

يجب معرفة حقيقة الدين كأمر وجودي، ممّا يعني وجوب معرفتها على أساس ثلاث ميزات:

الأولى: يجب أن يكون الدين فاعلاً ذا حيويّة، وهذا يعني أن الإنسان يواجه تجربته الدينيّة الشخصيّة حين تؤثر عليه هذه التجربة وتغيّر حقيقته، رغم المحدوديات التاريخيّة والاجتماعيّة واللغويّة والبدنيّة التي تقيّد الإنسان.

الثانية: الحقيقة الدينيّة عبارة عن أمر شخصيّة وحواريه؛ أي إمّا تحكي عن الارتباط بين «أنا» و«هو» وليس بين «أنا» و«ذلك».

الثالثة: هذه الحقيقة خفيّة وعرضة للنسيان<sup>١</sup>. كلامه يدلّ بصريح العبارة على أن التجارب الدينيّة برأيه تتّصف بهذه الميزات الثلاثة، وهناك ناهج لهذا النمط من إحيائها في سيرة الأولياء والعرفاء.

هناك بعض الملاحظات الجديرة بالذكر بخصوص الرؤية المشار إليها، وهي كالآتي:

١. شبستري ادّعى أن جوهر الدين له ثلاث خصائص فارقة، وممّا قاله ضمن استدلاله على رأيه: «...بما أن هذه الخصائص الثلاثة موجودة في تجارب العرفاء تجاه الله»، فهذا الاستدلال يعتبر مصادرةً على المطلوب.

٢. لو اعتبرنا كلّ إنسان مدرّكاً لحقيقة الدين المطلقة ضمن منظومته العقليّة، فجوهر الدين في هذه الحالة ليس عبارة عن تجربة أمر متعالٍ.

إذا اعتبرنا جوهر الدين أمراً متعالياً، فالإشكال الذي يرد على هذا الكلام، هو

---

١. مجتهد شبستري، نقدي بر قرائت رسمي از دين، ٤٠٣ - ٤٠٤. بتصرف

أنَّ الكثير من الناس لا يمكنهم خوض هذه التجربة المتعالية؛ نظرًا للقيود الأربعة التي تضيِّق نطاق قدراتهم، ومن ثمَّ يجب الحكم عليهم بأنهم خارجون عن الدين! ٣. يا ترى هل التجارب الدينيَّة مستقلَّة عن المفاهيم أو أنَّها مستقلَّة عن الاستدلال؟ التجارب الدينيَّة حسب الرؤية المتعارفة دائميًا تتوَّكَّب مع مفاهيم<sup>١</sup>.

### الإيمان وحيويَّة الإنسان

حياة الإنسان برأي شبستري تصبح فاعلةً ومفعمةً بالحيويَّة حينما يخوض تجارب دينيَّة أصيلة، فهو في هذه الحالة يعيش في رحاب حياة لا تتوقَّف فيها الحركة وتجري بشكل دائب، وكأنَّه في سباق مع نفسه والغلبة له على الدوام؛ لأنَّه دائميًا يهزم نفسه السابقة ليلج في نفس جديدة. ومما قاله بهذا الخصوص:

«المؤمن دائميًا يعيش حالة نقديٍّ وانتقالٍ من حالةٍ إلى أخرى، وهو يحذر من الدوغماتيَّة والركود؛ لأنَّه في واقع الحال يروم الخروج من أربعة سجون تقيده، هي المجتمع والتاريخ واللغة والزمان، وجدل هؤلاء فحواه وجود خطاب يسمعه الإنسان فيها وراء هذه السجون، ومضمون هذا الخطاب يختلف عن سائر الأخبار المتعارفة، لكن لا يحيص من بلورة هذه الأخبار ضمن السجون المشار إليها»<sup>٢</sup>.

المسألة الأخرى الجديرة بالذكر في هذا الصعيد، هي أنَّ التجارب الدينيَّة، وفق ما ذكرنا من آراء لهذا المفكر، تعدُّ أعمق طبقة في الدين، وهي التي تصوغ حقيقة

١. قائمي نيا، تجرّبه ديني وگوهر دين، ١٦٥-١٦٨.

٢. مجتهد شبستري، تاملاتي در قرائت انساني از دين، ١٠٩-١١٠.

الإيمان. لكنّ المؤمن في هذا الطريق، يواجه أربع عقبات تعرقله دائماً عن امتلاك تجربة دينية أصيلة؛ وعلى الرغم من تقييدها له وتلازمها لمسيرته في الحياة لدرجة أنّه يصبح عاجزاً عن التفكير بدونها، إلاّ أنّه مكلف بأن يسلك طريقاً فيها ورائها وخارج نطاقها ويفعل ما بوسعه لتحطيمها وتجاوزها.

### تحليل ونقد

عندما نحلل كلام المفكّر شبستري، ينبغي لنا معرفة النقاط الإيجابية فيه، وبعد أن نستكشف هذه النقاط ونطرحها على طاولة البحث والتحليل، فأول مسألة مهمّة للغاية في هذا الصعيد، هي تأكيده على أنّ الرؤية الدوغماتية أهمّ سبب لتخلف البشر فكرياً، وهذا هو السبب في صيرورة نقد كلّ من رينيه ديكارث وإيمانويل كانط وفرنسيس بيكون نقطة تحوّل في مسيرة تطوّر الفكر الفلسفي الغربي. فالنقد الجادّ الذي طرحه كانط على العقل النظري الدوغماتي الموروث في الثقافة والفكر الأوروبي، والذي كان متركزاً أساسياً للإبستيمولوجيا الغربية، أحدث تحولات جذرية ومؤثّرة للغاية لدرجة أنّ الفلاسفة الذين لحقوه لم يتمكنوا من تجاوزه. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ شبستري عاش في ألمانيا لمدة من الزمن، لذا هو من جملة الفلاسفة الذين عجزوا عن تجاوز نطاق النقد الكانطي. هذا ما أكّد عليه بعض الباحثين الذين تطرّقوا إلى تحليل الموضوع بدقّة وإمعان نظر. ونحن بدورنا نؤيّد هذا الكلام على ضوء ما توصلنا إليه في بحثنا المعدودة التي أجريناها بهذا الخصوص، لكنّ رغم ذلك لا نؤيّد بالتام والكمال؛ إذ لو نظرنا إلى الإيمان

بهذا الأسلوب، لوجدنا الكثير من الناس غير مؤمنين وغير مقيدين بشريعة خاصة. ناهيك عن أن الذين بذلوا جهودًا حثيثةً على صعيد البرهنة والاستدلال، ليسوا مؤمنين حقيقيين في هذه الحالة، إلا أنهم مؤمنون حقًا حسب الرؤية الدينية.

بناءً على ما ذكر، يصبح الإيمان المتقوّم على تجارب أصيلة مجرد هدف بعيد المنال، إلا أنه في واقع الحال عبارة عن أمر موجود ذي مراتب خاصة، حسب رأي أستاذ عبد الله الجوادى الآملي، الذي تحدّث عنه قائلاً:

«الإيمان القلبي التقليدي هو أوّل مراتب الإيمان، والقرآن الكريم اعتبر الإخلاص شرطاً فيه؛ وثاني مراتبه هي مقام (كأن)¹ وثالث مراتبه هي مقام (إن)² الذي هو مقام الأولياء والأنبياء»³.

بعد ذلك ذكر رؤيته التي يتبنّاها إزاء حقيقة الإيمان الذي يجري في حركة عموديّة باعتقاده، حيث قال:

«كون حركة السير والسلوك الروحاني عموديّة في التعاليم الدينيّة، معناه بلوغ الإنسان مكانةً أعلى وليس مكاناً أعلى»⁴.

---

١. مقام الذي يصل إليه الإنسان المحسن، وهو كأنّه يرى الله، ويرى لقاءه وفقاً للرواية المشهورة

النبيّة حيث قال لأبي ذر: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، مصباح الشريعة، ٨.

٢. أعلى مراتب العرفان، حيث يصل العارف إلى درجة الشهود والمشاهدة، وهو يجاوز مقام

كأن. أخذ هذا العنوان من كلام الإمام علي بن أبي طالب، حيث قال: «مَا كُنْتُ أُعْبُدُ رَبّاً لَمْ

أَرَهُ»، الكليني، الكافي، ١: ٩٨.

٣. الجوادى الآملي، تفسير موضوعي، ١١: ٢٢٨ - ٢٣١.

٤. م. ن.

وفي موضع آخر، ذكر تقسيماً أكثر دقّة حول هذا الموضوع قائلاً:  
«يمكننا تقسيم حياة الإنسان ضمن ثلاثة مستويات:

المستوى الأوّل: الإيمان العامّي؛ يكفي في هذا المقام مجرّد الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات.

الثاني: الإيمان الحكيم؛ ولا يكفي في هذا الإيمان مجرّد الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات، بل يجب أيضاً تشذيب الملكات النفسانيّة وترسيخها في النواة المركزيّة للعدل.

الثالث: الإيمان العرفاني؛ والمؤمن في هذا المقام يصبح مظهرًا للأسماء الإلهيّة الحسنى كافّة، وضمن كلّ حقبة من الزمن يتجلّى في رحاب أحد هذه الأسماء ويسلك على أساسها تناسباً مع ظروف زمانه<sup>١</sup>.

### نتيجة البحث

المفكّر شبستري حينما تحدّث عن حقيقة الإيمان، حاول في بادئ الأمر تصوير التجارب الدينيّة للمؤمنين كافّة بشكل كليّ، واعتبرها معياراً للإيمان لأجل أن تعمّم على كلّ من يدّعي الإيمان. لكنّه عندما تطرّق إلى بيان حقيقة التجارب الدينيّة الأصيلة، طرح آراءه واحداً تلو الآخر ليصوّرهما كأمر لا يعمّم مستويات حياة البشر كافّة؛ أي إنّها وفق أسلوبه البحثي والنتائج التي توصل إليها في هذا المضمار، لا تشمل الكثير من جوانب حياتهم.

دراسة تحليلية حول حقيقة الإيمان برؤية المفكر الإيراني مجتهد شبستري ❖ ٢٤٧

الخصيلة النهائية التي يمكن استخلاصها من جملة آرائه ونظرياته، تثبت وجود إشكاليات في آرائه تتمثل بعدم وجود انسجام بين ما يطرح فيها، ومن جملة ذلك وصفه التجارب الدينية بالنهر الجاري النابع من تجارب النبي، والذي يصب أخيراً في تجارب عامة المؤمنين. إلا أنه من جهة أخرى، اعتبر هذه التجارب بكونها أعمق طبقة في الدين، لكنّ عامة الناس عاجزون عن خوضها.

الإيمان وفق ما ذكرنا في آراء الأستاذ عبدالله الجوادى الأملي عبارة عن أمر موجود على أرض الواقع، وله عدّة مراتب. لذا، فهو ليس أمراً ماهوياً ومتواطئاً حسب الاصطلاح المنطقي؛ أي إنه ليس مفهوماً كلياً ينطبق على مصاديقه كافة بشكل متكافئ.

استناداً إلى ما ذكرنا بخصوص حقيقة الإيمان، توصلنا إلى نتيجة فحواها وجود نقطة اشتراك بين آرائنا وآراء المفكر شبستري ونقطة اختلاف. أمّا الجهة المشتركة التي نؤيد على أساسها ما تبناه من آراء، فهي أنّ الإيمان عبارة عن حقيقة وجودية متواصلة وفاعلة. وأمّا الجهة التي نختلف فيها معه، فهي مسألة أنّ الإيمان ذو مراتب ودرجات، أذناها العمل وفق التعاليم الشرعية، والأعلى منها العقائد والملكات الأخلاقية الراسخة، والأعلى من كلّ ذلك صيرورة المؤمن مظهر تام لأحد الأسماء الإلهية الحسنی.

## المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، لبنان، بيروت، منشورات دار صادر، ط٣، ٢٠٠٤م.
٣. پيترسون، مايكل وآخرون، عقل واعتقاد ديني (باللغة الفارسيّة)، طهران، منشورات طرح نو، ١٣٨٣هـ.ش.
٤. الجوادي الأملي، عبدالله، تفسير موضوعي (باللغة الفارسيّة)، ج٣، ١١، و١٤، قم، منشورات إسرائ، ط٣، ١٣٨٤هـ.ش.
٥. الرازي، محمّد بن عمر فخر الدين، المحصّل، تحقيق: حسين أتابي، منشورات الشريف الرضي، ١٣٧٨هـ.ش.
٦. الشهرستاني، الملل والنحل، تخريج محمّد بن عبدالله بدران، مصر، القاهرة، منشورات «إنجلوا»، ط٢، [د.ت.].
٧. الصدوق، الأملي، طهران، منشورات المكتبة الإسلاميّة، ١٣٨٠هـ.
٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج١، قم، منشورات «أسوة»، ط٢، ١٣٨٣هـ.ش.
٩. قائمي نيا، علي رضا، تجرّبه ديني و گوهر دين (باللغة الفارسيّة)، قم، منشورات بوستان كتاب، ١٣٨١هـ.ش.
١٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٧ ق

دراسة تحليلية حول حقيقة الإيمان برؤية المفكر الإيراني مجتهد شبستري ❖ ٢٤٩

١١. مجتهد شبستري، محمد، نقدي بر قرائت رسمي از دين (باللغة الفارسيّة)، طهران، منشورات طرح نو، ١٣٧٩ هـ.ش.

١٢. \_\_\_\_\_، تاملاقي در قرائت انساني از دين (باللغة الفارسيّة)، طهران، منشورات طرح نو، ١٣٨٣ هـ.ش.

١٣. \_\_\_\_\_، هرمنوتيك كتاب وسنت (باللغة الفارسيّة)، طهران، منشورات طرح نو، ط٦، ١٣٨٤ هـ.ش.

١٤. مجموعة من الباحثين، باورهاي ديني (باللغة الفارسيّة)، قم، بنياد پژوهش هاي امام خميني، ١٣٨٦ هـ.ش.

١٥. مصباح الشريعة، بيروت، اعلمي، ١٤٠٠ هـ.

